رمزي ابو رضوان:

اسست فرقة الدلعونة ومركز الكمنجاتي لنشر الثقافة الموسيقية بين اطفال فلسطين

رمزي ابو رضوان (القدس العربي)

ابوظبي ـ «القدس العربي»
ـ من جمال المجايدة:

اسمه رمزي ابو رضوان وعمره لم يتجاوز الـ 27 عاما، عاش طفولته في مخيم الامعري للاجئين في رام الله بالضفة الغربية، كانت هوايته وهو طفل صغير رمي الحجارة على جنود الاحتلال الاسرائيلي ابان الانتفاضة الاولى والثانية، لم يكن يتصور الطفل رمزي ان ازقة المخيم سوف تنقله الى فرنسا لدراسة الموسيقى ومنها لينطلق بسرعة البرق نحو العالمية كواحد من افضل العازفين على الكمان. قصته طويلة ومريرة ومليئة بقصص الفرح والعذاب، التقيته في ابوظبي حيث اصطحب معه فرقته (الدلعونة) المتخصصة في الفنون الشعبية الموسيقية الفلسطينية لاحياء امسية موسيقية خيرية على خشبة مسرح المجمع الثقافي لجمع التبرعات لصالح جامعة بيت لحم. في تلك الامسية اختطلت الدموع بالمشاعر على وقع انغام العود والرق والناي الحزين وصوت الفتى الصغير عدي ابن الاحدى عشر ربيعا، وهو يغرد بك بصوته العذب الشجي، في ربى فلسطين وقراها ومخيماتها الصامدة. وتغرد الفتاة نورا ايضا بصوتها الفيروزي الندي حاملة آهات ابناء شعبها تحت الحصار والاحتلال.

من قال إن الحرب تقتل كل شيء؟ ثمة فسحة من الامل. هذه الفسحة نبتت كبرعم في مركز «الكمنجاتي» لتعليم الموسيقى في مدينة رام الله، الذي ينشر حوله أصداء موسيقى متفائلة لا يردعها الموت، ويربيّ داخله مواهب فلسطينية يانعة. فمن ذلك البيت اطلت علينا خلود وعدي واعضاء فرقة هم اشبه جميعا بالحلم والوعد المنتظر، بموسيقاهم الرائعة والحانهم الجميلة يحملون – كما يقول رمزي – موسيقانا الشرقية الى العالم ويحمون التراث والهوية في مواجهة محاولات الطمس والتهويد والاحتلال.

فرقة الدلعونة تتبع «مؤسسة الكمنجاتي» الموسيقية في مدينة رام الله التحتا، واسس الاثنتين الشاب ابو رضوان بهدف نشر الثقافة الموسيقية في اوساط الاطفال والفتية في الضفة الغربية. ويقول رمزي «الفرقة كونتها في فرنسا حين كنت ادرس الموسيقى في كونسرفتوار اونجيه الفرنسية في عام 2000 وبعد عودتي الى رام الله اسست الكمنجاتي، والتي سرعان ما تحولت الى خلية نحل تعج بالاطفال الذين قدموا من المخيمات والقرى والمدن في الضفة الغربية لتعلم الموسيقى».

ويقول رمزي ابو رضوان الذي اسس الكمنجاتي ان «المؤسسة تهدف الى تعليم ابناء مخيمات اللاجئين في فلسطين وفي الشتات كما تعلم ابناء الفقراء كي تكون الموسيقى لكل ابناء فلسطين».

كل ماعرفته من زملائه في تلك الامسية ان رمزي ولد في مخيم الامعري في مدينة البيرة وحمل الحجارة وهو طفل في الثامنة اثناء الانتفاضة الاولى حيث تحولت صورته الى ملصق فلسطيني يعلق على الجدران لينتقل الطفل نفسه من حمل الحجارة الى حمل آلة الكمان الموسيقية ليعزف عليها للمارة الفلسطينين امام الجدار الفاصل الذي تبنيه اسرائيل في الضفة الغربية.

يقول «دخلت عالم الموسيقى وانا في السابعة عشرة من العمر، عندما اقام الموسيقي الفلسطيني محمد فضل وهو ايضا لاجئ ورشاً موسيقية لاطفال المخيم وسمح لي بالمشاركة فيها حيث دربني بشكل مكثف».

ومضى قائلا «بعدها شاركت في احد المهرجانات في الولايات المتحدة حيث بهرتني الآلات والاوركسترا وكنت في بداية خطواتي نحو الموسيقى، ما جعلني ازداد تعلقا بها واصرارا على تعلم العزف اكثر».

ويقول ابو رضوان الذي يعزف على آلات العود والبزق والفيولا (الكمان الوسطي): في عام 2002 واثناء الاجتياح حضرت من فرنسا للعزف في مؤسسة اطفال في مدينة رام الله وبعد ان كانت كل رسوم هؤلاء الاطفال الذين لم يتجاوزوا السادسة او السابعة تحمل اشكال دبابات ورشاشات حاول الاطفال رسم اشكال الات موسيقية بعد العزف لهم مرات عدة.

واضاف: بعدها بدأت باستخدام علاقاتي مع الموسيقين الفرنسيين الذين تعرفت عليهم اثناء وجودي في فرنسا لحملهم على التطوع للعزف وبدأت فكرة المشروع بتأسيس جمعية الكمنجاتي عام 2002 في فرنسا حيث لقيت دعما كبيرا وهي موجهة في الاساس لاطفال اللاجئين الفلسطينيين.

وقال الشاب رمزي «اقمنا حفلات في مخيمات لبنان واحاول الآن ان اضع مشروعا لتعليم الموسيقى في المخيمات الفلسطينية في سورية والاردن والمخيمات موجودة ومدارسها موجودة وباماكاننا تدريس الموسيقى في هذه المدارس بمشاركة الاونروا وكالة الامم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين».

وشدد على حق اطفال فلسطين في ان يعيشوا كباقي اطفال العالم كما يجب الا يقف طفل ابن السبع سنوات والست سنوات امام الدبابة والرشاش، لانه ليس من مسؤولية الطفل ان يرفع الاحتلال عن كاهل الشعب فهي مسؤولية المؤسسة الحاكمة والقيادة بكل اشكالها.

وتابع: انا في مشروعي اقوم بتربية الطفل وتثقيفه وتعليمه وهناك سيكون قادرا اكثر على مناهضة الاحتلال.

وقال «حصلنا على مئة كمان من تبرعات اوركسترا اونجيه في فرنسا ومن المانيا وبريطانيا وعلى 20 آلة تشيلو و50 آلة فلوت وبيانو واحد، ومستمرون في تقديم حفلات للاطفال في المخيمات الفلسطينية كما اقمنا حفلات في مخيمات لبنان.

وكثيرا ما يتطوع موسيقيون من مختلف انحاء العالم بالغناء والعزف مع مؤسسة الكمنجاتي في المخيمات الفلسطينية».

وتنبعث أصداء الموسيقى – كما يقول ابو رضوان – من مركز (الكمنجاتي) لتعليم الموسيقى في مدينة رام الله وتتدفق عليه المواهب الصغيرة أملا في اكتساب ثقافة فنية.

ويشير الى ان المنزل الذي كان مهجورا ويرجع الى العهد العثماني وقامت مؤسسات دولية وفلسطينية بترميمه منذ عامين يتعلم فيه حاليا 250 طالبا وطالبة تتراوح أعمارهم بين أربع سنوات و15 عاما وقال «شيد المبنى على الطراز الإسلامي في الفترة العثمانية في القرن التاسع عشر ويتألف من طابقين ويعود إلى عائلتي خلف وغانم اللتين وافقتا على ترميمه وتحويله إلى مركز لتعليم الموسيقى».

ويقول إن الطلاب يتدربون على كافة الآلات الموسيقية الشرقية والغربية ويقوم بالتدريس فيه 15 موسيقيا من فرنسا وألمانيا وأمريكا.

ويتطلع ابو رضوان مؤسس مركز (الكمنجاتي) إلى إنشاء مدارس موسيقية في القرى والمخيمات الفلسطينية من اجل المساهمة في الكشف عن المواهب الفنية وإيجاد فرص لأصحابها عبر تقديم الدعم والمساعدة لهم. وإلى حين تحقيق ذلك يقوم المركز بعمل مدارس موسيقية متنقلة في عدد من القرى والمخيمات يلتحق بها ما يزيد عن مئتي طالب وطالبة.

وقال إنه أثناء التنقل بين القرى والمخيمات وإعطاء الدروس الموسيقية تم اكتشاف موهبة غنائية لفتى من مخيم الفوار يدعى عدي الخطيب.

ويتيح المركز الفرصة أمام جميع الراغبين في تعلم الموسيقى للانضمام إليه برسوم في المتناول تقترب من 20 دولارا سنويا لمن ليس لديه المقدرة على دفع رسوم المركز كاملة والبالغة 250 دولارا سنويا.

وذكر إن المركز الذي يحصل على دعم من عدد من المؤسسات الفلسطينية والدولية يقوم على فلسفة الموسيقى للجميع ويحاول توفير فرصة تعلم الموسيقى لكل من لديه الرغبة في ذلك.

ويعمل المركز على جمع آلات موسيقية من أفراد ومؤسسات في ألمانيا وفرنسا وغيرهما لتوفيرها أكبر عدد ممكن منها وتقديمها للطلبة للتعلم عليها.

وقال الشاب رمزي ان مركز الكمجاتي للموسيقى حصل على جائزة البرنس كلاوس وهي اسم الجائزة التي ربحها مركز الكمنجاتي الموسيقي وتمنح في المجالات الثقافية والمشاريع، وكان الشاعر محمود درويش قد حصل عليها العام الماضي.

ويقول اننا حصلنا على هذه الجائزة لان هدف «الكمنجاتي» هو تأسيس مدارس موسيقية لأطفال فلسطين وخاصة أطفال المخيمات واللاجئين والقرى التي لا تصلها الكمنجاتي الموسيقي، ويدرس الكمنجاتي الان 350 طفلا، 150 منهم داخل المركز في رام الله التحتا، و باقي الأطفال موزعين على قرى (ديرغسانة، دير استيا، بيت ريما) ومخيمات (عايدة، العزة، الامعري، الجلزون، قلنديا) ومدينة القدس، و يعمل الكمنجاتي الان على امكانية تدريس الموسيقى في جنين ومدرسين من فلسطين وانحاء العالم.

اخبار فنية

تصالحت مع الشركة المنتجة على أن يطرح ألبومها في العيد:

أزمة بين نيكول سابا ومصطفى قمر

القاهرة ـ «القدس العربي» ـ من محمد عاطف:

رغم التصالح الذي تم بين المطربة اللبنانية نيكول سابا وبين المنتج محسن جابر بعد الاتفاق على مواصلة التعاون الفني بينهما، بدأت أزمة جديدة تظهر طرفاها نيكول والمطرب مصطفى قمر.

كانت نيكول قد اتفقت بعد المصالحة أن يطرح ألبومها خلال موسم الشتاء الحالي، وفضلت عيد الأضحى الأخير، واستعدت لذلك، وقامت ببطولة فيلمين متتاليين من أجل تكثيف الدعاية لألبومها عندما يطرح في الأسواق.

وقدمت بعض الأغاني الشعبية حتى لا تكرر الأعمال الرومانسية التي اختارتها للألبوم.

قبل حلول عيد الأضحى الأخير لم تجد أي تحرك من أجل ألبومها الجديد، وشعرت نيكول أن هناك أزمة في أغانيها وحاولت الاستفسار عنها ولم تجد أي شيء يقف عائقا امام طرح الألبوم خلال العيد.

لم تتحدث سابا مع أحد، وطلبت أن يطرح الألبوم خلال عطلة اجازة نصف العام الدراسي لأنه من المواسم الفنية المهمة.

لكن الألبوم أيضا لم يطرح، وظلت تستفسر عن السبب حتى عرفت أن مصطفى قمر الذي اصر على طرح ألبومه الغنائي الأخير «لسه حبايب» بالأسواق أولا وقبل أي ألبوم آخر من انتاج الشركة، لأنه تأخر عامين عن سوق الكاسيت، وهناك أغان سيقدمها في فيلمه الجديد الذي يصوره بعنوان «عصابة د، عمر» ويعرض في الصيف القادم، ولابد من وجود فارق زمني بين الألبوم بأغانيه والفيلم السينمائي بأغانيه حتى لا يحدث أي تعارض بينهما يؤدي الى عدم إقبال الجمهور على الألبوم الذي يهتم به مصطفى قمر اهتماما كبيرا.

كما أن قمر صور أغنيتين من الألبوم في فرنسا عرض الأولى وهي «لسه حبايب» على الفضائيات، وهناك أغنية أخرى بعنوان «ما بحبكيش» سوف يعرضها الفترة القادمة ما قبل عرض الفيلم السينمائي حتى يكون متواجدا طوال العام أمام الناس.

غضبت نيكول سابا رغم أن المسؤولين بالشركة وعدوها بأكبر اهتمام تلقاه في ألبومها القادم والتفرغ لدعايته بأحدث الطرق وسوف يطرح أوائل الصيف.

الألبوم تتعاون فيه نيكول سابا مع الملحنين وليد سعد وعمرو مصطفى ومحمد رحيم وعادل عايش وعادل حقي وتميم، ومن الشعراء هاني عبدالكريم ورامي جمال، ومعظم الأغاني تميل إلى اللون الرومانسي والاستعراضي، وطلبت تصوير أغنيتين من الأغاني مثلما حدث مع مصطفى قمر.

نيكول سابا

مصطفى قمر

مهرجان ربيع مسرح الأطفال للسنة الرابعة:

ما بين تكرار العروض وإشكالية التفكير بالأطفال

دمشق ـ «القدس العربي»
ـ من أنور بدر:

للسنة الرابعة على التوالي، تتعاون مديرية ثقافة الطفل في وزارة الثقافة مع مسرح الطفل والعرائس في مديرية المسارح والموسيقى، لملء مساحة العطلة الإنتصافية من العام الدراسي بمهرجان ربيع مسرح الأطفال، والذي توزعت عروضه هذا العام على أغلب المحافظات السورية وبعض المدن الرئيسية، لكنه ما زال دون الطموح المعبّر عنه بالوصول إلى الطفل السوري أينما كان.

قد تكون هذه الإشكالية مرتبطة بالإمكانيات المادية، التي تحول دون نقل هذه العروض إلى أطفال الريف والمدن الصغيرة، لكن هناك إشكاليات أكثر من ذلك باتت تشكل ارهاقاً لهذا المهرجان، بل هي تضعه في دائرة المساءلة، التي حاولت الندوة الموازية لهذا المهرجان والتي عقدت هذا العام تحت عنوان «رؤى مستقبلية حول مسرح الطفل والعرائس في سورية»، أن تلامس بعضها برفق.

جميع المشاركين في الندوة من المهتمين بمسرح الطفل والعاملين فيه إلى الإعلاميين تحدثوا عن أزمة النص لدينا، لكن أحداً لم يجب على السؤال: كيف أنتجنا كل هذه العروض في الدورات السابقة، ولا نزال نكرر بعضها منذ أربع سنوات، دون أن تكون لدينا القدرة على تقديم عرض جديد؟ كذلك لم يجب أحد على السؤال : فيما إذا كانت إضافة عبارة «رؤى جديدة» إلى بروشور العرض السابق كافية لإقناع الطفل الذي سُرق من أمام برامج الأطفال المنوعة على شاشة التلفزيون، أو من أمام شاشة الكومبيوتر وما يمكن أن تحمله له من ألعاب ومغامرات، بأن هذا العرض الذي شاهده كان أفضل له؟

كذلك أتذكر من الدورات السابقة التوصية المستمرة بأن يتحول المسرح إلى جزء من ثقافة الطفل، لا أن يبقى مناسبة سنوية تقترن بالعطلة الإنتصافية، وكفى الله المعنيين بمسرح الطفل أعباء الاستمرار بتقديم عروضهم في المدارس ونوادي الأطفال وصولاً إلى البلدات الصغيرة، خارج معاقل العاصمة أو المدن الرئيسية.

قد تكون لدينا أزمة نص مسرحي بشكل عام، وفي مسرح الطفل بشكل خاص، لكن هذه الإشكالية قديمة، ويمكن للترجمة والإعداد أن تحل جزءا منها، كما يمكن لمسابقة النصوص التي أعلن عنها في نهاية المهرجان أن تسد فراغاً في هذا المستوى، إلا أن المشكلة باعتقادي تتعدى ذلك إلى أزمة المؤسسة التي تفكر نيابة عنا، وتطلب منا أن نفكر نيابة عن الأطفال.

فما معنى الإصرار أن يكون النص المسرحي المقدم للأطفال معنياً بتنمية الروح الوطنية ودعم الثقافة القومية؟ وما معنى أن يناقش عرض الدمى الذي ما زال محمد خير عليوي يقدمه منذ سنوات بعد تحميله جملة من الرموز والدلالات على حيوانات الغابة، لإقناع الأطفال بأن هجوم الحيوانات على أبو الثعالب هو تعبير عن الوحدة الوطنية ضد الطامعين بثروتنا القومية أو النفطية...؟ ما معنى أن تشترط مسابقة النصوص المعلن عنها لمسرح الأطفال ومسرح العرائس ربط الإبداعات المسرحية بدعم الثقافة الوطنية والقومية؟ ألا يشكل هذا النمط من التفكير امتداداً لحقبة أيديولوجية ما زالت تمد انشوطتها حول إمكانيات التطوير، وتطوير الأطفال في مجتمعنا؟ ألا تشكل هذه الشعارات عبئاً على تفكير أي طفل ووعيه؟ ألا تشكل إرهاقاً للنص وللطفل المشاهد بأن معاً؟ أليس الأجدر بنا أن نهتم بتنمية الذائقة الفنيّة والذخيرة المعرفيّة لأطفالنا قبل أن نرمي بهم في بحيرات الأيديولوجيا والشعارات؟

قد تكون هذه الاستفسارات جزءاً من المشكلة، لكن الجزء الآخر أننا نغيب الطفل كاهتمامات وطريقة تفكير. حتى عندما ابتدعنا فكرة «الأطفال يعدون مسرحهم» بإشراف المخرج عدنان سلوم، فإننا لا نلاحظ العرض الطفلي أمامنا، لا نكتشف المستوى اللعبي في العرض، بل هناك تدريبات على ألعاب، على رقصات، على دراما تمثيلية تحاكي عقل الطفل الذي نعتقده نحن الكبار، لكنه ليس عقل الطفل الواقعي، الذي تجاوزنا كثيراً في عالم التكنولوجيا والألعاب الرقمية.

الكثير من الأطفال الذين نصطحبهم الآن إلى المسرح لم يعرفوا عالم الحيوانات الأليفة أمام المنزل، ولم يكتشفوا حيوانات الغابة إلا في صور «البيكمون» بينما نجدهم بالمقابل أكثر اهتماماً والتصاقاً بعالم التكنولوجيا والألعاب الرقمية. فكيف نخاطب هذا الطفل، أو نطلب منه الالتزام بالقضايا الوطنية والقومية. وماذا تعني له أطنان الشعارات البائدة مقابل جماليّة لعبة مشوقة له، وبدون تحميل أيديولوجي؟

أعتقد أننا مازلنا نفكر بطريقة متعالية على أطفالنا، نرفض لعبهم وطريقة تفكيرهم، ونصر أن ما نعتقده صواباً هو الأفضل لهم. وفي هذا الإطار يكون مسرح الطفل كنوع من البريستيج الاجتماعي لنا، ولثقافتنا في تربية الأطفال، وليس جزءاً من ثقافة الطفل، وإلا كيف تحضر عشرات العائلات في النصف الأخير من العرض، وهم يصطحبون أطفالهم غير عابئين بوحدة العرض، ومقولته، وجماليته وكل الأشياء المفيدة في التواصل مع الطفل؟

نحن نحتاج إلى ثقافة تحترم عقل الطفل، وتحترم التطور الاجتماعي والثقافي والتكنولوجي الذي فرض نفسه في عالم أطفالنا. كما أننا بحاجة إلى تكريس مسرح الطفل بعيداً عن الاحتفالية أو المهرجانية التي تتزامن مع العطلة الإنتصافية.

وهنا نتساءل أين المسرح المدرسي مثلاً وهو كجهاز إداري ما زال موجوداً في وزارة التربية، لكنه كفعالية تلاشى منذ عقود؟ مع أن هذا المسرح هو الذي رفد الحركة المسرحية والفنية في سورية بخيرة الفنانين والمبدعين حين لم تكن لدينا مديرية عامة للمسارح والموسيقى، ولم تكن لدينا وزارة ثقافة، ولم يكن لدينا معهداً للفنون المسرحية.

اعتقد أن العودة إلى تفعيل المسرح المدرسي في كل مدارس القطر، ودمج ثقافة المسرح ضمن مادة التربية الفنية، وتفعيل مسرح الطفل والعرائس وحتى عروض خيال الظل خارج حدود الاحتفالية المهرجانية، هي من أهم المقومات الكفيلة بتعميم ثقافة المسرح بين أطفالنا.

بالمقابل نجد أن مسرح الطفل يحتاج وقبل كل شيء إلى صالة العرض، لا يكفي استعارة صالات المراكز الثقافية، بل يحتاج مسرح الطفل إلى مقر ثابت وإلى صالة أفضل من قبو معهد الحرية في دمشق، ذلك المكان الذي قد يصلح لأي شيء أكثر من كونه صالحاً لعروض الأطفال.

واعتقد أن هذه الملاحظات يجب الأخذ بها بسرعة، قبل أن يداهمنا العام القادم 2008، ونصحو على احتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية، واستحقاق الدورة العربية الأولى لمهرجان مسرح الطفل، ونحن لا نملك شيئاً من مقومات هذا المسرح إلا مسابقة النصوص التي أعلنت عنها مديرية المسارح والموسيقى.

وأخيرا تبقى إشكاليات مسرح الطفل لدينا تشكل جزءا من إشكاليات المسرح والثقافة في سورية عموما.

فضائيات

ما بين اعلام السلطة واعلام الناس

هويدا طه*

يا فرحة العادلي برجالته.. في الشرطة والتليفزيون!

■ ما أحلى الرجوع إليكم! كتبتها مرة في هذه الزاوية عندما توقفت عمدا عن الكتابة لعدة أشهر.. حرصا على احترام حق القارئ في ألا يقرأ لكاتب يوشك أن يقع في فخ التكرار والاجترار.. بعد أن وجد كُتاب مصريون كُثر أنفسهم– وأنا منهم– وقد غرقوا في متاهة سخف (وبجاحة) منظومة الأمن والسلطة المستبدة في مصر.. كل يوم يمارس النظام بكل هيئاته نفس التعدي على حقوق الإنسان المصري وكل يوم يكتب المصريون تحديا لهذا الاستبداد.. حتى صارت المسألة وكأنها (عقد غير مكتوب) بين الطرفين.. يقول فيه رجال السلطة بكل أنواعها (عايزين تكتبوا يا مجانين؟ إكتبوا!.. إكتبوا اللي انتو عايزينه واحنا نعمل اللي احنا عايزينه.. إكتبوا يا مجانين!) يجوز إذن للكاتب أن ييأس ولكن فقط ليضع لحظات.. لا يجوز له أن يتمادى في اليأس.. هكذا كان الرجوع إليكم المرة الماضية، واليوم .. أعيدها بعد غيبة أخرى لقرابة ثلاثة أشهر افتقدت فيها التواصل معكم، كان الانقطاع الأخير لعدة أسباب منها ضغط العمل.. لكن على مدى سنوات من الكتابة هنا.. كنت أحرص على عدم الإشارة من قريب أو بعيد إلى أنني أعمل في قناة الجزيرة، فالكتابة هنا كانت (وستظل) بصفتي مواطنة مصرية عربية حرة.. تكتب في جريدة عربية اختارت منذ البدء صف الناس لا السلطة.. في كل أنحاء العالم العربي، الآن.. وقد عرف كثير من القراء الأعزاء طبيعة عملي.. بعد تجربة مع الأمن في مصر تصادف أن تناولتها عدة وسائل إعلامية.. سواء جرائد أو قنوات فضائية من ضمنها قناة الجزيرة طبعا.. أشير أولا إلى أنها تجربة كتبت تفاصيلها الكاملة في صفحة أخرى من هذه الجريدة العزيزة عليّ وعلى قرائها.. صفحة (مذكرات وكتب).. (فقط من باب أن نضيف بندا جديدا في العقد غير المكتوب مع السلطة.. وهذه المرة الكلمة لنا.. عايزين تستبدوا يا.. عاقلين؟ استبدوا!.. انتو استبدوا واحنا حنكتب.. ونفضل نكتب.. انتو استبدوا واحنا حنفضل نفضحكم.. صحيح انتو مفضوحين أصلا.. لكن مزيد من فضحكم يا.. عاقلين.. واجب علينا!) وأشير ثانيا إلى أن هذه الزاوية (فضائيات) ليست لكتابة تجارب ذاتية مباشرة.. لكن كسر تلك القاعدة في السطور الماضية كان من باب التوضيح.. الآن نعود معا.. لأداء الواجب!

للناس إعلامهم في بلادنا وللسلطة إعلامها.. ويمكن لكل لبيب أو حتى غير لبيب.. تمييز الفرق، أتذكرون فيلم (البداية)؟ حين كان الفنان الجميل المرحوم أحمد زكي يؤدي دور عامل تلتقي معه مذيعة تليفزيون السلطة. كانت يسرا قد أدت هذا الدور بإبداع ملحوظ.. حينها كان العامل يقول للميكروفون الذي تدفعه المذيعة دفعا في فمه تكاد به تكسر أسنانه.. بينما هو يتأتئ مرتبكا وعينه تزوغ يمينا ويسارا: «احنا ياهانم كويسين قوي وكل شيء حلو قوي والحاجات رخيصة قوي والدنيا حلوة خالص والحكومة بتحترمنا خالص واحنا عايشين عيشة فل خالص وأحلى من كده والنبي مفيش»! هكذا إذن اعتدنا أن تكون طريقة تواصل تليفزيون الحكومة المصرية مع الناس.. وهي طريقة لا يغيرونها رغم مرور الزمن ولا يطورون فيها من أساليبهم.. حتى يعني من باب (التمكن) يعني في أداء مهمتهم الإعلامية الأمنية! فبعد مصادرة رجال مباحث أمن الدولة لشرائط فيلم وثائقي كان يجري الإعداد له من قبل فريق الجزيرة عن (شكاوى المواطنين من سوء معاملة الشرطة المصرية).. فإن الشرائط الموجودة في النيابة باعتبارها (حرزا مضبوطا!) وصلت بقدرة قادر إلى التليفزيون المصري!.. وعموما هذا شيء لا يُدهش من يعرف ـ بحكم التجربة والعشرة مع حكومات مصر ـ أن التليفزيون المصري تابع بائس مسكين للداخلية والأمن.. في دولة طبيعتها طبيعة بوليسية يحكمها البوليس أصلا.. والبوليس نفسه يحركه كالدمية ذلك اللهّو الخفي (بصراحة هو مش خفي!.. لكن شعبيا اسمه كده.. بس مين في مصر ميعرفش يعني.. المعلم الكبير؟!) وفي برنامج اسمه البيت بيتك (وكثير من المصريين يهزأ من هذا الاسم.. ويعتبر أن البيت مش بيته وإنما بيت المفضوحين من رجال وأعوان الحكومة البوليسية التي تحتاج لبيت مثل هذا يحاول عبثا.. أن يستر عليها!) تم عرض شرائط لا يملكها التليفزيون المصري ولا تملكها الشرطة ولا النيابة ولا أي جهة سوى من أنتجها.. الشرائط التي عرضت قال عنها مذيع برتبة (مقدم) برنامج إنها (صور مفبركة عن تعذيب المواطنين في أقسام الشرطة من شأنها الإساءة لسمعة البلاد).. يا سلام.. جبت التايهة! لكن هذا شيء لا يستغرب من تليفزيون بوليسي! إنما الأكثر دلالة على مستوى ذكاء إعلام السلطة– الذي يسخر منه العالم في أرجاء الدنيا– أنهم ذهبوا– أي والله العظيم– ذهبوا إلى أقسام الشرطة التي سمحت الداخلية لهم بدخولها من باب إن البيت بيتهم! وأمسكوا بميكروفون يشبه ميكروفون يسرا الذي دفعته دفعا في فم العامل الغلبان ليحكي عن رفع الحكومة قبعاتها وطواقيها لكل العمال.. دفعوا الميكروفون في فم بعض المتهمين المحتجزين في أقسام الشرطة وسألوهم: «الظباط بيعاملوكم إزاي؟!» (يا فرحة شعبنا بكم وبإعلامكم ومستوى ذكائكم وقدراتكم الإعلامية الفذة.. خليتوا إيه لغيركم؟ خليتوا للحلوين إيه؟!) المتهمون طبعا من بينهم (نشال وهجام وخلافه) قالوا شيئا يشبه ما قاله أحمد زكي: «والله بيعاملونا أحسن معاملة وبيجيبولنا شاي وطيبين خالص ومفيش أي حاجة من أي حاجة والضابط والله بيقوم من على الكرسي ويقعدني»! يعني الضابط المصري ـ بحسب منهجية إعلام البيت بيتهم ـ يتعامل مع النشالين المحتجزين بمنهج (أطبطب وأدلع)! يعني الصحافي والحقوقي والمحامي المصري ما هم وأمثالهم إلا أفاقون.. يفترون على الشرطة المصرية الحنونة.. يفترون حينما يرصدون بالصوت والصورة والمتابعة للقضايا المرفوعة في المحاكم على ضباط (طبطبوا على المواطنين ودلعوهم أيما طبطبة وأيما دلع)، والدليل على هذا الافتراء؟! الدليل قالولو..! النشالون المحتجزون في قسم شرطة سمحت وزارة الداخلية بدخول الكاميرا والميكروفون إليه.. قالولو ـ للمذيع برتبة (مقدم) برامج ـ إن الشرطة حلوة وطيبة وحنونة خالص! يا فرحة العادلي برجالته في الشرطة والتليفزيون!

عموما.. كون المصريين مشهورين بالطيبة والدفء الإنساني.. هذا لا يمنع أن ذكاءهم الجمعي والفردي على حد سواء قادر على التمييز بين إعلام محترم و.. إعلام قالولو! يا سادة.. ما يسيء لسمعة البلاد ليس فضح الصحافيين لانتهاك النظام المصري لحقوق الإنسان.. وإنما ما يسيء لسمعة مصر حقا أن يفتضح أمام العالم (مستوى ذكاء) بعض رجال الأمن المصري.. سواء في الشرطة أو في التليفزيون!.. مع إن مصر مليئة بالشباب الذكي.. فلماذا يعمل في الأمن ـ شرطة وتليفزيونا ـ رجال بهذه الدرجة من.. الذكاوة! أووف.. فضحتونا قدام الأجانب.. بصراحة.. مكسوفالكم!

العاشرة مساء مرة أخرى: برلمانيون.. لكن ظرفاء!

■ والله زمان يا برنامجي المفضل! منذ فترة طويلة لم أتابع برنامج (العاشرة مساء) على قناة دريم المصرية الخاصة.. وهو برنامج يبذل فريق إعداده مجهودا ملموسا كي (يقترب من هواجس الناس) في مصر.. في حدود السقف المتاح من حرية ستكون نتيجة اختراقه.. إغلاق دكانة البرنامج من بابها! وتتمتع مقدمته منى الشاذلي بروح (حلوة) وبساطة ودفء.. وإن كان (يعيبها) إصرارها على (النطق الصحيح) لحروف الثاء والضاد والذال! وهذه حروف تبدو– لغويا– (مشكلة مصرية)، لأن المصري في لهجته المحلية لا يخرج لسانه أبدا عند نطق تلك الحروف.. لذلك يشعر بمدى (عبء) أن يفعلها دون أن يرتبك أو يفقد تواصل أفكاره، ما علينا.. يمكن للعزيزة منى أن تقول (مسلا) بدلا من قول (مثلا) دون أن تشعر بتأنيب الضمير!.. عادة ما أمزح مع أصدقائي من غير المصريين بالقول: بصراحة احنا في مصر بنحترم اللغة العربية. عشان كده مبنحبش نطلع لها لساننا! كانت هذه ملاحظة جانبية عندما عدت لمتابعة برنامج العاشرة مساء خلال الأسبوع الماضي.. وكانت بالحلقة فقرات عديدة تمس حياة الناس في مصر.. من فقرة تتابع عمالا يضربون ويعتصمون في شبين الكوم احتجاجا على عدم صرف مستحقاتهم التي (بلعتها) الشركة القابضة عندما باعت مصنعهم للمستثمر الهندي، وفقرة عن المصريين المسجونين في إسرائيل، وفقرات أخرى كانت من بينها فقرة مع (عضو مجلس الشعب) الذي أعلن أن أولاده (يخجلون) من إعلان أن أباهم عضو في مجلس الشعب! وبرر ذلك بقوله إن الإعلام والسينما والتليفزيون هم الذين (شوهوا) صورة البرلماني المصري، وقال إن مسلسلا كانت قصته تدور حول شخصية رجل حسن السمعة والمكانة بين الناس.. وبعد أن ترشح لعضوية مجلس الشعب.ودخله.. انحرف! مسألة بالفعل تثير الانتباه.. لماذا فقد المصريون الثقة في (ممثليهم)؟! وبما يجب تغيير السؤال قليلا.. هل أعضاء مجلس الشعب هم فعلا ممثلو الشعب؟! كيف يكون من بين ممثلي الشعب المصري في البرلمان تجار مخدرات وهاربون بالقروض وقتلة يدسون السموم في أكياس الدماء في المستشفيات التي يلجأ إليها شعب (يمثلونه)؟! إما إنهم ليسوا ممثليه الحقيقيين أو أنه.. ليس شعبهم! بالتأكيد يوجد من بين أعضاء مجلس الشعب من هو (مستقيم) يحاول جاهدا أن يجد (لشعبه) موطئ قدم.. في مجلس ثبت عبر السنوات الماضية (وبأحكام قضائية) أن عددا من أعضائه هم بلا مواربة.. مجرمون! لكن.. وكأن المواطن المصري مقدر عليه أن يُحكم لا بممثليه وإنما بممثلين للإجرام.. يتحكمون في مصيره على كل مستوى.. بدءا بمستوى قاعدة الشعب وحتى.. قمة الهرم! وكأن المصريين (انتخبوا) ـ إذا صح أنهم مارسوا فعل الانتخاب ذات يوم أصلا– على كل مستوى من يقول لهم: انتخبوني.. فأنا خير من يمثلكم.. ويمثل بكم.. ويمثل عليكم!

---

* كاتبة من مصر
howayda5@gmail.com

وارضيات